جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

مشكلة تهريب المخدرات والمؤثرات العقلية عبر البحر

"الواقع والتحديات وآليات الاتصال"

د. ناصر بن علي الزلفاوي

٢٠٠١م

مشكلـة تهريـب المخـدرات والمؤثرات العقلية عبر البحر

«الواقع والتحديات وآليات الإتصال»

د. ناصر بن علي الزلفاوي

مشكلة تهريب المخدرات والمؤثرات العقلية عبر البحر

المقدمـــة

هذا بحث شبه ميداني جمعت معلوماته في جلها من قبل الباحث من مختصين وممارسين لعمليات مكافحة تهريب المخدرات عبر البحر، بالاضافة إلى الخبرة الشخصية التي حصل عليها الباحث نفسه أثناء قيامه بواجبه في هذا المضمار. ومن هذا المنطلق فإن على القارئ الكريم أن لا يتوقع الكثير من الاقتباسات، أو أسماء مراجع ومصادر في متن هذا البحث. وعلى كل حال فإن هذا لا يعني أن بعضاً من المعلومات لم ترد جزئياً مطلقاً في أبحاث سابقة جاءت على غرار هذا البحث. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الباحثين في مشاكل تهريب المخدرات عبر البحر كثيرون وتزيد أعدادهم تباعاً مع مرور الزمن وطرق تناولهم لهذا الموضوع متابينة مظهراً ومخبراً وكل يوم يأتون بالجديد ليس في طرق التهريب ووسائله فحسب ولكن في طرق المكافحة ووسائلها كذلك.

١ . ٥ نبذة عن عمليات التهريب وطرق مكافحته

تعد مشكلة تهريب المخدرات منذ نشأتها ظاهرة إجرامية متجددة تطورت من حيث الأساليب التي يلجأ إليها المهربون أنفسهم عند ممارستهم لنشاطاتهم الذميمة. ومن أهم الأسباب التي أدت إلى هذا التطور سرعة المواصلات وتعدد وسائلها وسبلها وجشع الكثيرين من المغامرين في الحصول على الثراء الفاحش من أقصر الطرق وأسرعها وخلال أسرع وقت ممكن، أضف إلى ذلك غياب الوازع الديني لدى كثير من هؤلاء المغامرين

لدرجة لم يعد أي منهم يعبأ بما يصيب الأفراد والمجتمعات من نكال ودمار للأفراد والأسر والمجتمعات حتى لو كانوا من بني جلدتهم في سبيل تحقيق فوائد شخصية غير شرعية لهم. ويبدو أن الصراع في عالم مكافحة المخدرات حالياً محتدم بين فريقين، فريق الشر وفريق الخير.

ففي جانب الشر المتمثل بالمنتج والصانع والمهرب والممول والتاجر أخذ هؤلاء المغامرون يستعينون بتكنولوجيا العصر في استخدام وسائل الإنتاج والتصنيع والنقل الحديث وأساليب التهريب والإخفاء والتخفي.

والجديدر بالذكر أن التقدم العلمي والتقني الذي أصاب كل مناحي الحياة، بالإضافة إلى الإمكانات المادية المتوفرة لدى هؤلاء المهربين قد وفرت لهم كل الأسباب لممارسة أعمالهم وتطوير خططهم ومحاولاتهم كماً ونوعاً دون اعارة أدنى اهتمام للأضرار التي يلحقونها بالأفراد والمجتمعات نتيجة لقيامهم بنشاطاتهم التي تلحق أضراراً لا حد لها بالأبرياء من بني جلدتهم.

أما بالنسبة إلى جانب الخير فإن رجال التشريع والقانون والاجتماع وأجهزة المكافحة على كافة مستوياتها نجدهم يقفون صفاً واحداً كالبنيان المرصوص للحيولة دون تمكين الجانب الأول من تحقيق أهدافه والعمل على إفساد مخططات أصحاب جانب الشر وقطع دابرهم وذلك عبر الاستعانة بكل أسباب العلم والقوة وموضوعية التفكير والإصلاح.

ومن أجل أن يستطيع العاملون في رحاب المكافحة التصدي لدهاقنة التهريب ووضع حد لنشاطاتهم، فإن على العاملين في أجهزة المكافحة أن يسلوكوا مسلكاً علمياً لمسايرة تطور هذه الجريمة المتطورة والمتجددة في أسلوبها وحيلها.

ومن الأساليب الهادفة لنجاح خطة المكافحة ضرورة التعرف على

أسماء المهربين والتجار في دول الإنتاج وجمع كافة المعلومات المتوفرة عنهم مثل عاداتهم وتقاليدهم، وتحركاتهم، وأهوائهم وآمالهم، والإمكانات المتاحة لكل منهم. وإن معرفة هذه المعلومات تساعد رجال المكافحة على التعامل مع هؤلاء فرادى أو مجتمعين لكسر شوكتهم والحد من الأضرار التي يلحقونها بالأبرياء أو ضعفاء النفوس هنا أو هناك.

ومما يجدر الإشارة إليه أن جمع المعلومات عن مناطق الإنتاج لن يتأتى إلا بتوفير قاعدة عريضة من مصادر المعلومات الموثوق بها في مكان الإنتاج، واحتكاك دولي قوي مع أجهزة المكافحة المعنية لتبادل المعلومات، وتجديدها بصفة مستمرة. إن توفر مثل هذه القاعدة يجعل من المسئولين في عالم مكافحة المخدرات أناساً على مستوى عال من القدرة والكفاية والدراية في هذا المجال، ولقد أثبتت الدراسات والتجارب أن بقدر حجم المعلومات المتوفرة عن هذه العناصر الثلاثة تمكن أجهزة المكافحة والمواجهة تحديد الأسلوب المستخدم في عمليات التهريب بالاعتماد على دراسة المعلومات وتحليلها، واستخلاص التجارب النافعة منها للتصدي لطرق التهريب وإحباط خطط المهربين.

والملاحظ أن المهربين يلجأون إلى كل السبل والوسائل الكفيلة بالتحايل على أجهزة المكافحة، وأنه ليست هناك قاعدة أو أسلوب معين يحكم تصرفاتهم للدفع بالمخدرات إلى أيدي المستهلكين المدمنين فكما يقال جريمة المخدرات جريمة متطورة ـ كل يوم تكشف أجهزة المكافحة شكلاً جديداً من حيل المهربين وكلما اكتشفت طريقة أو حيلة استبدلها المهربون بأخرى أحكم وأسلم منها. وعلى كل حال فإنه يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنه إذا ما توافرت لدينا المعلومات الأكيدة عن وجود المخدر أو عمليات تهريبها فلابد وأن نتوقع كافة الاحتمالات.

ويمكن القول أن تجار المخدرات ومهربيها في استطاعتهم اللجوء إلى شتى الطرق لتوصيل المخدرات إلى المستهلكين فلا توجد أي قاعدة تتحكم في تصرفاتهم أو أي تقليد يفضلونه دون سواه.

٥ . ٢ نصوص نظامية لتفتيش السفن

حددت الأنظمة الجمركية المنطقة البحرية بمسافة تمتد اثني عشر ميلاً بحرياً في البحر من السواحل السعودية مقيسة من خط القاعدة. وتشمل المنطقة بالبحرية هذه الإضافة إلى البحر الإقليمي منطقة أخرى تعرف دولياً باسم المنطقة الملاصقة التي نص عليها بالمادة ٥٤ من اتفاقية جنيف عند تعريفها للمنطقة الملاصقة بأنها الجزء من أعالي البحار التي تلاصق البحر الإقليمي ويمكن للدولة أن تباشر فيها سلطات محددة تشمل القدر الضروي اللازم للمحافظة على أمنها ومصالحها الحيوية مثل منع التهريب، وتطبيق قوانين الهجرة والصحة العامة ومكافحة التلوث، والمحافظة على الثروات البحرية الحية وغير الحية. وتعرف منطقة الالتصاق بأنها اندماج شيئين متحايزين بحيث يتعذر الفصل بينهما والالتصاق ليس إلا واقعة مادية أكسب صاحب الشيء الفرعي صفة بعينها.

ولذا نصت الأنظمة الجمركية على أنه يجوز لموظفي الجمارك أن يدخلوا أي سفينة بدون اجراءات سابقة بناء على طلب يقدمه القبطان كتابة. وإذا كان الطلب مشافهة فيجب أن يحضره شاهدان للتفتيش على بضائع ممنوعة أو مشتبه في تهريبها تكون قد شحنت بدون علمه.

وتؤكد الأنظمة الجمركية أهمية الحرص من قبل موظفي الجمارك على تحقيق كل أسباب صحة وسلامة عملية ممارسة النشاط الجمركي في هذا المجال، سواء كان ذلك من خلال التوثيق الكتابي أم الشهادة المعتبرة شرعاً.

ونصت الأنظمة الجمركية أيضاً على أنه عند وصول تبليغ سري للجمرك بوجود مهربات بإحدى السفن الراسية على الرصيف يكون لموظفي الجمرك وحدهم دون غيرهم حق تفتيش السفينة ويكون للجمرك حق الاحتفاظ بالأشياء المضبوطة أو التصرف فيها بما لا يضر بالمصلحة العامة.

وخولت الأنظمة الجمركية لمديري المراكز الجمركية في الموانئ البحرية إمكانية الاستعانة بمهندسين وفنيين من رجال خفر السواحل للمساعدة في اكتشاف المخابئ السرية التي يحتمل وجود المهربات بها، أو الإرشاد إلى أماكن وجودها.

وأشير إلى السفن والمراكب الراسية خارج الميناء في الغاطس على أن تفتيشها وضبط ما يوجد بها من المهربات يكون من اختصاص رجال خفر السواحل أو شرطة الميناء.

ويلاحظ القارئ لفحوى النصوص السالفة الذكر تركيزها على تطبيق النشاط الجمركي فيما يتعلق بالسفن والمراكب الموجودة داخل الدائرة الجمركية أو في منطقة المراقبة الجمركية. ولا يمتد هذا النشاط إلى ما هو خارج الخط الجمركي كالسفن التي في أعالي البحار حيث منعت مثل هذه السفن الرسو في غير المنطقة الجمركية طبقاً للنص التالي: «يحظر رسو السفن في غير المنطقة الجمركية، وإذا إضطرت للرسو لطارئ جبري فيها أو لظروف قاهرة سماوية للرسو أو الاتصال بالشاطئ يجب على ربان السفينة ألا يخرج من شحنتها ولا يضيف إليها شيئاً ما لقصد التهريب، وعليه إخطار أقرب مركز جمركي ما أمكن ذلك».

٥ . ٣ التهريب عن طريق البحر

كثيراً ما يستخدم البحر لتهريب كميات من المخدرات تفرض نفسها على المهربين لاستخدام هذا الطريق، لكونها قد تصل أوزانها إلى عدد من الأطنان ويكن ذلك بواسطة المراكب الشراعية أو اللنشات، أو المراكب الصغيرة، أو حتى السفن العملاقة وعابرات المحيطات التي يحتوي بعضها على ما يقارب من ثلاثة آلاف مخبأ لا يستطيع كشفها إلا الخبراء المتمرسون.

ويتم التهريب أحياناً بواسطة طاقم السفينة وذلك على أجسامهم أو في أماكن سرية يعرفونها في السفينة نفسها. والظاهرة في عالم التهريب استخدام سفن أعالى البحار في تهريب كثير من المخدرات من مناطق الإنتاج إلى مناطق الاستهلاك.

وتقوم العصابات المنظمة باستخدام السفن الخاصة في نقل شحنات الكبيرة من المخدرات من مناطق الإنتاج إلى مناطق الاستهلاك وتعتبر هذه الوسيلة من الوسائل الآمنة في نقل شحنة المخدرات إذا ما خطط لها تخطيطاً سليما. ويرجع السبب في ذلك إلى أن عملية التهريب تمر بعدة مراحل قد يصعب على أجهزة المكافحة اكتشاف مرحلة منها وبالتالي تضيع خيوط باقي تفصيلات تنفيذ العملية. وغالباً ما تقوم بهذه العملية ثلاث وسائل بحرية الأولى تقوم بنقل الشحنة من شاطئ دولة الانتاج إلى مكان معين تتواجد فية وسيلة النقل أو السفينة التي تتولى النقل في أعالي البحار ولا يعلمه في معظم الأحوال سوى شخص معين يطلق عليه «المندوب» يرافق الشحنة المهربة من الشاطئ إلى السفينة، وغالباً ما تكون السفينة وعليها شحنة المخدرات مصحوبة بمندوب ثان يعلم مكان تواجد وسيلة نقل ثالثة بالقرب من المياه الإقليمية لدولة الاستهلاك حيث يتم نقل الشحنة إلى هذه الوسيلة الثالثة التي تتولى نقلها أو تهريبها خلسة عبر ساحل أو حدود دولة

الاستهلاك، وتمر هذه العملية بعدة مراحل لها جزئيات كبيرة كل فرد أو مجموعة من أفراد العصابة لا تعلم إلا الدور الذي يخصها في التنفيذ. وقد يتم تغيير السفينة التي تنقل الشحنة عبر البحار كما قد يتم تغيير معالمها واسمها و العلم الذي يرفعه.

وفي غالبية عمليات النقل البحرية يحدث أن تغلف المخدرات جيدا داخل أكياس من البلاستيك أو النايلون وتوضع داخل اطارات من الكاوتشوك حتى لا يتسرب إليها الماء أثناء عمليات النقل والتفريغ أو التصبير إذا ما أجبرت الظروف أفراد العصابة أو طاقم المركب إلى تنفيذ أي من تلك المهمات.

التصبـــــير

يعني هذا التعبير تخزين المخدرات في مياه البحر تحسباً للفرصة المناسبة وذلك عندما يجد المهربون لدى وصولهم إلى مناطق الانزال أن الظروف الجوية أو حالة الحراسة لا تسمح بإنزال الشحنة في المنطقة المتفق عليها، ومن هنا فإنهم يلجأون إلى تخزين المخدرات في مياه البحر إلى أن تحين الفرصة المناسبة لإدخالها إلى البلاد. وتكون المخدرات في بادئ الأمر معبأة في أكياس من البلاستيك داخل إطارات الكاوتشوك أو في صفائح مغلقة جيداً ومربوطة في بعض الأحجار أو الأجسام الثقيلة بحبل واحد طويل حتى إذا ما القيت في الماء واستقرت في القاع بقى طرف الحبل المربوطة فيه قطعة من الخشب أو الفلين طافية على سطح الماء كعلامة يستدل بها المهربون على مكان الشحنة الذي يستعان في تحديده بأهداف ثابتة على الشاطئ.

وكثيراً ما يحرص المهربون على تغليف ما يهربون من مخدرات بصورة متقنة حتى لا يتسرب إليهاء الماء في حالة إضطرارهم إلى القائها في عرض البحر عندما يجدون أنفسهم واقعين، لا محالة، في أيدي الذين يطاردونهم من رجال الأمن.

البشللة

يقصد بهذا التعبير عملية انتشال المخدرات من قاع البحر بعد التخزين، ويتم انتشال المخدرات باستخدام حبل تثبيت فيه أعداد كثيرة من السنانير الكبيرة والأحجار لتغوص في القاع ويمسك بطرف الحبل فريقان كل منهما في قارب صغير ثم يقومون بمسح منطقة التصبير إلى أن يلتقطوا طرف الحبل المربوط به شحنة المخدرات فيتم انتشالها ونقلها إلى الشاطئ.

من الأساليب المتبعة لتفتيش السفينة

يجرى تفتيش عام لأي قطعة بحرية، فإن على من توكل إليهم هذه المهمة أن يكونوا على درجة عالية من الملاحظة واليقظة ليس بالنسبة للموجودات فقط ولكن بالنسبة إلى تصرفات البحارة والعاملين على ظهر السفينة، ومرافقيهم وأسئلتهم، ومظهرهم العام، والبحث عن دلائل ومؤشرات والتكتم التام متى تم العثور على شيء.

وعلى كل حال فهناك محاذير لا بد من وضعها في الحسبان عند قيام فريق من خفر السواحل أو غيرهم بتفتيش سفينة أو زورق أو أية واسطة بحرية مشتبه في أمرها. وهذه المحاذير متعددة ويكتفى بذكر أهمها وهي كالتالي:

١ ـ قد تكون في ناحية ما من الواسطة البحرية شحنة من المخدرات، وقد تساعد تصرفات أو حركات أو حتى نظرات الركاب فريق التفتيش في اكتشاف أماكن اخفائها، وإلى مخبئها، مثل حركات البدن، أو تسديد النظر إلى بقعة واحدة، أو على شخص واحد من القائمين بالتفتيش ومن شأن ذلك أن يوفر على رجال التفتيش وقتاً وجهداً لا يستهان بهما.

٢ـ كثيرا ما تصدر عن أولئك الركاب بعض الأعمال العدوانية أو العصبية، وفي مثل هذه الحالات فإن على فريق التفتيش عدم الالتفات إلى ما يصدر منهم من أعمال وأقوال وأن يوهموهم بأنهم يجهلون أمكنة المهربات تماماً.

٣ـ قد يكون هناك سلاح في متناول أيدي المهربين، أو بيد واحد منهم وفي هذه الحالة فإن الواجب على رجال الفريق التظاهر بعدم الاكتراث لمثل هذه الأمور، وعدم السماح لأنفسهم بأن يقولوا شيئاً، وأن لا يقوموا بأي عمل، أو أن يصرحوا بأنهم عثروا على أي من المهربات إلا في حالة تأكدهم من ذلك، وأن لا يغفلوا شيئاً ما لم يكونوا متأكدين من العثور على مهربات وأنهم في الوقت نفسه يسيطرون على الموقف سيطرة تامة.

ومن المعروف أن فريق التفتيش يكتسب مع مرور الوقت خبرة بما يجب عليه أن يبحث عنه، وللعلم فإن هذه الخبرة توفر الكثير من الوقت والجهد. أضف إلى ذلك فإن على رئيس الفريق يجب عليه أن يذكر كل فرد في الفريق أن ليس في استطاعته أن يقوم وحده بتفتيش سفينة بأكملها، وليس في استطاعته أن يفتش عشر غرف متتابعة بدون أن يعتريه التعب وتتسلل إلى نفسه اللامبالاة وعدم الاكتراث. ويتحتم على كل من أعضاء الفريق كذلك أن يلقي نظرة على الأشياء المختلفة وخاصة الصغيرة فإذا رأى شيئاً غير عادي يتصل بالمخدرات أو مخصص للاستخدام كسلاح، أو شاهد منطقة اخفاء غير عادية، فعليه القيام بابلاغ رئيسه أو المرافق له في التفتيش بذلك، ووضع تقرير لتنبيه الضباط الآخرين إلى هذا الشيء الجديد.

ويجب علينا دائماً أن نتذكر ضرورة معرفة دولة المصدر، فالسفينة القادمة من أمريكا الجنوبية تكون احتمال إحتوائها على الكوكايين أكبر من احتمال احتوائها على الهيروين، والسفية القادمة من أفريقيا قد تحمل الماريوانا أو المجوهرات. أما السفن القادمة من أوروبا فإن أغلب ما تهربه الهيروين. ومن الممكن أن تحتوي السفن القادمة من دول جنوب غرب آسيا على كل شيء ابتداء من الماريوانا إلى الأفيون. ودول جنوب شرق آسيا مشهورة بالهيروين والأفيون وما يسمى أعواد تايلاند بالاضافة إلى ذلك فإن معرفة دولة المصدر تساعد من يقوم بعملية التفتيش على التعرف على المواد الغريبة التي قد تصادفه، وكثيراً ما تكون المخدرات مخبأة خارج أماكن اقامة البحارة في السفينة.

وفي حالة العثور على مادة غريبة فيجب ابلاغ من ضبطت بحوزته من طاقم الواسطة البحرية بأنك تعرف ما هي هذه المادة وتذكره بأن كل من يقبض عليه متلبساً بحيازة مخدرات سوف يقضي مدة طويلة في السجن. وفي هذه الحالة نجد المتلبس لن يدخر وسعاً في تخليص نفسه من هذا المأزق وذلك عن طريق الإساءة إليك وقد يحدث ذلك أيضاً إذا لم تعده بتخليصه من هذا المأزق. فقد يدعي أنك لم تفصح له عن هويتك وأنه أطلق عليك النار لأنه ظن أنك تريد الاعتداء عليه. وقد يدعي أنك هددته بإطلاق النار عليه إذا لم يتكلم أو يزعم أنك أنت الذي دسست له المخدرات عمداً أو سرقت أمواله، أو وجهت الإهانات إلى بني جلدته، أو غير ذلك مما يضعك في موقف المدافع، وبالتالي يضعف من موقفك.

وعليك أن تؤدي عملك دائماً بالكفاءة المعهودة في خبير مثلك، وألا تضع نفسك في موقف حرج.

التفتيش المنظم

يحمل كل عضو في فريق التفتيش معه علامة أو ملصقاً صغيراً أو لوناً يميز بها الأماكن التي فرغ من تفتيشها . وتحمل كل علامة رمزاً أمنياً معروفاً لدى بقية رجال الفريق بأن هذه الغرفة أو تلك المنطقة قد تم تفتيشها .

وهذه طريقة جيدة لتعقب ما تم تفتيشه ، ولكن حذار من أن يكون في حوزة أي من البحارة قطعة طباشير مماثلة لتلك التي تستخدمها حتى لا يغتنم فرصة التضليل ولكي لا يطوف بالسفينة واضعاً العلامة التي تحمل الحرف الأخير من اسمك مثلاً لمنعك من تفتيش المنطقة التي أخفى فيها الممنوعات .

ولذلك كان من حسن التصرف أن تعهد باشخاص معينين لتفتيش مناطق معينة . وكثيراً ما يقوم المفتشون بحمل الطباشير من ألوان متعددة لإرباك البحار وعادة ما تجد على ظهر السفينة علامات بالطباشير الملون . استخدم ألواناً مختلفة إذا واجهتك أية مشاكل من هذا القبيل على ظهر السفينة .

وللشخص المسئول عن المراقبة حرية مراجعة أية علامة يضعها عضو آخر في فريق التفتيش ولكنه لا يستطيع بمفرده تفتيش غرفة أو اعادة تفتيش غرفة مميزة بالعلامة الطباشيرية ما لم يكن اللذان قاما بالتفتيش حاضرين ، وما لم يكن هناك سبب قوي يدعو إلى اعادة التفتيش .

وإذا كنت مكلفاً بتفتيش منطقة السطح تخيل السفينة كالساعة الضخمة ابدا التفتيش بالجانب الأيمن من السفينة أي ما يماثل الثالثة على ميناء الساعة والقمة الأمامية هي عادة قمة الساعة أي تماثل الرقم اثني عشر . اتجه بالتفتيش صوب الجزء الخلفي أي السادسة على ميناء الساعة . ثم اتجه نحو الجانب الأيسر ، أي التاسعة على قرص الساعة وامض قدما نحو القمة الأمامية ،

ثم اتجه يميناً وأكمل التفتيش حتى تصل إلى النقطة التي بدأت منها وهي الثالثة على قرص الساعة. إن ذلك يتيح لك إجراء تفتيش شامل للسفينة وتمييز كافة المناطق وأنت تمضي قدما بالتفتيش. فإذا سبقك بحار وميز منطقة لم تصل إليها بعد فسوف تكتشف ذلك على الفور. وسوف تطور مع الوقت أساليبك وأنماطك الخاصة بالتفتيش، ولكن حاول أن تبتعد عن الأسلوب النمطي عند تفتيش السفينة ذاتها المعروف عنها أنها تقوم بتهريب المخدرات ولك أن تقرر عدم الالتجاء إلى العلامة الطباشيرية وأنت تقوم بعمليات مسح سريعة للسفن المختلفة.

معدات التفتيش

هناك العديد من معدات التفتيش التقليدية والحديثة التي تساعد فريق التفتيش للقيام بواجباتهم على أكمل وجه ، ولكن يجب أن يوضع في الاعتبار عدم فتح الأماكن الحساسة في السفينة مثل تلك المتعلقة بتشغيلها إلا من قبل مهندسين فنيين للحد من إيقاع أي ضرر يحدث في أجهزة التشغيل أو الأجهزة الالكترونية الأخرى.

المناطق المغلقة

ستجد كثيرا من المناطق المؤمنة في أنحاء السفينة، فلا تحاول إزالة إقفال بالقوة ما لم يعجز البحارة عن العثور على مفتاح للمنطقة، ويجب أن تزال جميع الأقفال لاجراء التفتيش الجمركي للمناطق التي تحميها هذه الأقفال قبل البدء في عملية التفتيش.

أشياء عامة يجب تفتيشها

كثيراً ما تصادف فريق التفتيش أشياء مألوفة على جميع السفن وقد تكون سائبة، أي غير معبأة في بعض الأحيان. إن تفتيش هذه الأشياء يستغرق وقتاً كبيراً ولكن وعلى الرغم من ذلك فلا بد من القيام بتفتيشها من قبل الفريق المكلف بهذه المهمة. ومن بين هذه الأشياء ما يلي :

- أكياس ممتلئة بنشارة الخشب . . . تعرف على محتوياتها.
- براميل زيت كبيرة . . . يجب تحسسها تماماً بثقاب حديد، حيث أنه كثيراً ما عثر على أسلحة مهربة بداخل أوعية الزيت المفتوحة.
- صناديق الآلات والمصابيح الكهربائية والأجهزة الالكترونية.
- حواجز الاصطدام المصنوعة من الفلين أو المطاط التي تستخدم من أجل تخفيف عملية اصطدام السفينة بمرابط الرصيف.
- براميل واكياس الرمال والملح الصخري والاسمنت.

اضف إلى ذلك فإن على كل من يشارك في فريق التفتيش أن لا يترك شيئا أمامه إلا يقوم بتفتيشه وتحسسه وأن يتذكر دائماً أن ما تلحقه المخدرات بالمجتمع من أضرار، وتفكك أسري، وإهدار للثروات البشرية، والاقتصادية قد وضع على كاهله مزاولة هذه المهنة الشاقة وأداء الأمانة الصعبة تجاه حماية بلده ومجتمعه .

الخــداع

ستصادف أثناء قيامك بتفتيش السفينة مختلف أنواع المواقف والأوضاع، وهي أوضاع يستهدفك بها مهرب المخدرات، وقد خططت هذه المواقف بحيث تفاجئك وتأخذك على غرة كي يتسنى للمهرب حماية نفسه أو بضاعته.

العمالة المستقبلة للسفينة

ربما يكون لبعض من يعملون في الموانئ ويقومون باستقبال السفينة صلة بعصابات منتظمة للاتجار بالمخدرات، وفي معظم الحالات تصعد عمالة الميناء إلى ظهر السفينة في وقت مبكر من الصباح ويهتدون إلى البحار الذي أخفى المخدرات، ويعثرون على موقعها ويعمدون إلى استخراجها. وفي بعض الأحيان تكون المخدرات مخبأة في عنبر الشحن التي يعمل بها عمال الميناء. وكثيراً ما تكون المخدرات المهربة موضوعة في أماكن قد لا تخطر ببال أي من أعضاء فريق التفتيش، وعلى سبيل المثال، في إحدى الحالات تبين أن المخدرات كانت مخبأة في مكان قريب جداً من سلم السفينة التي وصلت في يوم عطلة، تحقيقاً لسرعة تسليمها.

وفي حالة اكتشاف أجهزة المكافحة أن هناك عدداً من عمال الميناء المعروف عنهم استخدام المخدرات أو الاتجار فيها، في زمرة واحدة فالأرجح أنهم مشتركون في نقل المخدرات من السفينة. وإذا كانت المخدرات مختلطة بالشحنات الأخرى سواء داخل شحنة بعينها أو في أوعية خاصة، فالأرجح أن يعمل عمال الميناء الذين تعرفت عليهم في العنبر الذي توجد به المخدرات وتفرغ الشحنات والأوعية عندما يشاؤون. والأرجح أن يتم ذلك عندما يخلو الرصيف من السفن ومن ضباط التفتيش. لذا فإنه من الواجب على رجال الأمن مراقبة هؤلاء العمال جيداً. هل هم يعملون دائما في عنبر معين؟ هل يفرغون الحاويات دائما من مؤخرة السفينة؟ هل يتسلل أحدهم بعيداً عن المجموعة؟ هل يأخذ العمال جميعاً فسحة استراحة من العمل في مواعيد غير معتادة لشرب القهوة؟ وإذا كان عامل من عمال الميناء يعتزم نقل المخدرات من السفينة فإنه في العادة يعين رقيباً. وقد يعمد الرقيب إلى

جذب الاهتمام إلى نفسه وصرف الاهتمام عن زميله الذي يقوم بنقل المخدرات من ذلك أنه قد يرتدي ثياباً فضفاضة ليوحي بأنه هو الذي يحمل المخدرات في ثيابه وسيكون أول ما يخطر على بالك هو إلقاء القبض عليه . لا تفعل التفت حولك أولاً هل هناك عمال آخرون يروحون ويجئون ؟ هل هناك عامل يقف بقرب سلم السفينة ويتلفت يمنه ويسره؟ هل يراقب الشخص الذي يرتدي الثياب الفضفاضة ؟ هل يتوقف الرقيب مرة كل عشرين قدماً ليتلفت حوله ؟ هل ينظر في اتجاه العامل الواقف قرب السلم؟ .

أن عليك أن تتخذ الخطوة الصحيحة، أطلب من أحد الضباط تعقب الرقيب من مسافة كافية في حين يراقب ضابط آخر العامل الواقف بجوار السلم وعندما يشرع الأخير في نزول السلم ألق القبض على كلا الرجلين فربما كانا قد عكسا الدورين المتوقعين .

القاء القبض

هناك عدة خطوط ارشادية لاجراءات القاء القبض، وفي بعض الحالات تحدد كمية المخدرات المضبوطة تلقائياً لإجراء الواجب اتباعه، وفي جميع الحالات حيثما ألقيت القبض على أحد البحارة، وكان واقعاً تحت تأثير المسكرات، أو المخدرات، أو وجه إليك تهديدات لفظية وجب أن تكبل يديه وراء ظهره بالقيد الحديدي وأن تصحبه إلى مقر قائد الفصيلة على ظهر السفينة . ألزمه وسيطر عليه سيطرة تامة، وساعده على صعود السلالم أو هبوطها، وقد يطلب منك البحار عدم تكبيله منعا لاحراجه أمام زملائه، ويعد بأنه لن يسبب أي مشكلة .

وعليك حماية لنفسك وله أن تبلغه بأنك مطالب باتباع التعليمات وهدئ من روعه وكن مهذباً معه ولاتبارحه بعد وضع القيد في يديه، فهناك حالات قفز فيها المكبلون في الماء، أو لاذوا بالفرار والقيد في أيديهم، فلا تغامر.

وإذا لم تتمكن أثناء الاستجواب من اقناع المتهم، فقد يأخذ بحار آخر عبرة من مشاهدة زميله وهو مقيد اليدين ويتخلص مما لديه من مخدرات بدلاً من أن يعرض نفسه للقبض عليه. قد يشعر أن سجينك سيوشي به ويعمد إلى القاء المخدرات في مياه المحيط، وأياً كان الوضع فإن القاء القبض عمل رادع.

الخاتمـــــة

من المعروف أن عمليات التهريب عبر البحار مورست منذ أن ركب الإنسان البحر واستفاد من الوسائط البحرية في نقل السلع وما يستخرج من الثروات البحرية الحية وغير الحية. ولقد عمد المهربون إلى وسائل وحيل لكي يوصلوا السلعة المهربة إلى مروجها الذي يقوم بدوره بايصالها إلى مستهلكيها. ومن ضمن تلك الوسائل اخفاء المهربات في أماكن مختلفة في الواسطة البحرية من قبل المهربين الذين يعملون من ضمن أفراد طاقمها. ومن هنا تبدأ المهمة الصعبة التي تقع على كاهل كل فرد من أفراد فريق التفتيش المكلف بالكشف عن المهربات على ظهر تلك الواسطة البحرية، والقاء القبض على كل من يسهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تهريبها. ولقد ذكرت بعض المحاذير والاحتياطات والخطوات التي يمكن لأفراد فريق التفتيش الأخذ بها أثناء قيامهم بمهماتهم وذلك عبر متن هذا البحث. ولكن هناك بلا شك مهارات وخبرات وآراء جمة لدى آخرين ممن يعملون في مجال مكافحة تهريب المخدرات عبر البحار ومن بينهم الزملاء الذين اشتركوا بأبحاث في ندوة «مكافحة تهريب المخدرات عبر البحر» يمكن القارئ الكريم الاستفادة منها، ولكن وعلى الرغم من هذه كله فإننا يجب أن لا يغرب عن بالنا أن آراء وأفكار وذكاء وحنكة المفتشين والأخذ بزمام المبادرة التي يتمتع بها المشتركون في فرق التفتيش يجب أن تذكر وتشكر في هذا المقام . . . ولكل مجتهد نصيب.